دلالة الجذر (س خ ر) في الاستعمال القرآني

د.محمد ياسين الشكري
جامعة كربلاء – كلية العلوم الإسلامية

الملخص

دلالة الجذر (س خ ر) في الاستعمال القرآني

إنَّ هذه الدراسة تناولت بيان دلالة الجذر (س خ ر) في الاستعمال القرآني، وبعد البحث عن استعمالات هذا الجذر،تبين أنه أُسْتُعْمِلَ (44) مرة باستعمالات متنوعة،واتفق علماء اللغة على معنى : الهزء ، ومعنى : التذليل .فهم اقتصروا على هذين المعنيين ، إلاّ أنَّ القرآن الكريم كانت له دلالته الخاصة في استعمالات هذا الجذر، والتي اتسمت بالاتساع في تعدد المعاني ، ومن ذلك : المعنى الجديد لـ (سَخَّر) : الذي جاء بمعنى : أرسل ، ولم يكن ذلك من دون دراسة ، بل من باب تفسير القرآن بالقرآن ،إذ وجد المفسرون أن: أرسل قد ورد بالقرآن الكريم بمعنى : سَخَّرَ ، ولذلك منحوا الجذر سّخَّرَ معنى : أرسلَ ، وهذا ما لم يذكره علماء اللغة. فضلاً عن أن لكل صيغة من صيغ هذا الجذر التي وردت في القرآن الكريم معنى خاصا يختلف عن المعنى الموضوع في الأصل . ويعتقد الباحث بوجود معنىً جديد لـ (سَخِرَ) لم يذكره المفسرون ،تمثل بمعنى غَضِبَ – أو سَخِطَ ، وهو مستعمل في اللغة ،وقد ذكر الباحث محل شاهد لذكر هذا المعنى في اللغة. وبهذا نكون قد توصلنا الى أن : الأسلوب القرآني يؤسس لعلاقات جديدة بين المفردات عبر استعمالات جديدة تختلف عن الأصل الذي استعملته فيه اللغة. وفي ضوءهذا يمكن القول : إنَّ الجملة القرآنية توصِّلنا أحياناً إلى منطقة استعمالات كثيفة ،تلزمنا بضرورة إيجاد معان جديدة تتناسب مع السياق الذي وردت فيه تلك المفردات،وكأنَّنا أمام مفهوم تفجير اللغة.ونأمل أن نكون قد وفقنا فيما ذهبنا إليه من بيان لمديات الاستعمال القرآني لـ - سخر- جذرا ومفهوما.

Abstract

Quranic use of ranges root (ridiculed)

This study addressed the statement ranges use Quranic root (mocked) format different states Qur'an, after research and a calculation process several times to use this root, turned out to be used (44) times, have varied those uses between what Tri-abstract, and three more - an increase of one character or two characters or three letters or Baltdaev - agreed linguists on the meaning: Mocking, meaning . understand on those involved, but that the Koran had Mdyateown uses this root, which was characterized by pervasive in the multiplicity of meanings, and So: meaning the new (ridiculed).

المقدمة

إنَّ القرآن الكريم هو الكتاب الذي لا ينضب معينه، ولا ينتهي إعجازه ، وهو نص إلهي تفرَّد بجمال الأسلوب ودقَّة العبارة ،ووفرة العطاء، فهو متجدد دائماً ، لأنه كتاب لكل العصور ، وفيه يكمن سر ازدهار الأمم ،إذ لا يمكن أن تجد إن بسم الله الرحمن الرحيمجازاً علمياً أو لغوياً إلاّ وله أصل في القرآن ، أو إشارة إليه على أقلّ تقدير.وفي ضوء هذا يكاد يتفق الباحثون والدارسون على أن القرآن الكريم منظومة علمية وإنسانية وثقافية متكاملة لا تنتهي ولا تزول ، ويقف الجميع عاجزين عن الوصول إلى كنه حقيقته وفهم معانيه ، لأنه من مكنون علم الله تعالى ، ولكن الذي ينبغي الإشارة إليه هو بيان سعي الباحثين إلى إبراز بعض ملامح الإعجاز اللغوي والعلمي في القرآن الكريم عبر بحوثهم ودراساتهم التي تبين المكانة العظيمة للقرآن المنزَّه من الباطل. وفضلاً عن أن للقرآن الكريم الفضل الكبير في المحافظة على وحدة اللغة العربية وتماسكها ، فهو مصدر للعلوم والمعارف، بل هو السور الحامي والحافظ للعربية في مراحلها التاريخية .على أن الذي يراد من البحث هو الإشارة إلى جزئية من مكونات النص القرآني ،والمتمثلة في بيان مديات الاستعمال القرآني لـ (س خ ر)

جذرا ومفهوما،عبر الكشف عـن المواضع التي ورد فيها بمعناه الحقيقي الذي وضع له ، والمواضع التي جاء فيها بمعان مختلفة عن المعنى الأصل ، عبر استعماله بالصيغ الاشتقاقية ، أو ما يلحقه من زيادات (سوابق ولواحق)، على أن هذه الصيغ تختلف في المباني والمعاني عن الصيغة الأصلية للجذر، إذ إنَّ الاستعمال القرآني للمفردات اتسم باختلاف المعاني للمفردات عبر اختلاف مبانيها،مستنداً الى السياق الذي يتطلب الإيجاز تارةً،والإطناب تارة أخرى لأجل بيان الإعجاز القرآني عامةً ، وبيــان مديــات الاستعمال القرآني للمفردات خاصةً،ثم إنّ هذا البحث يمثل مديات الاستعمـال القرآني لجذر من جذور العربية . وقبل الولوج في خباياه ا وزواياه،ينبغي التذكير بمعاني الجذر(سخر)في اللغة وفي الاصطلاح،وهذا ما نتناوله في التمهيد.

التمهيد

أولا :(سخر) لغةً:

قال الخليل (ت175هـ) أنّ:((سَخِرَ منه وبه، أي: استهزأ ،والسُّخْرِيَّةُ :مصدر في المعنيين جميعاً،...،وذكر :

أن سَواخِرٌ في سواء اليمِّ تحتفز
....

وقد سخَّرها الله لخلقه تَسْخيرا، وتَسَخَّرتُ دابة لفلان: ركبتها بغير أجر))(1).

وذكر الأزهري (ت370هـ) يقال : سَخِر منه وبه – إذا تهزَّأ به، والسُخرية مصدر في المعنيين جميعا، وهو السُخريّ أيضاً، ويكون نعتاً كقولك (هُوَ لك) سُخري وسخريَّة : مَن ذَكَّرَ قال: سخريا ، ومَن أنَّث قال:سُخرية ... وقال الفراء يقال: سَخِرت منه ولاتقل: سَخِرتُ به ، قال تعالى { لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ} الحجرات 11، وسَخِرتُ من فلان هي اللغة الفصيحةُ ، وقال تعالى { فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ }التوبة79،والسُخْرةُ ماتسخَّرْتَ من دابَّة أو خادم بلا أجر ولا ثمن ،ويقال : سَخَرْتُه بمعنى:سَخَّرْتُه وذللتُه، قال الله تعالى{وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ }إبراهيم33أي :ذللهما ، والشمس والقمر مسخَّران يجريان مجاريهما ، أي : سُخِّرا جاريين عليهما، والنجوم مُسّخَّرات،قال الأزهري:جارياتٌ مجاريهُنَّ،وسخَّرَه تسخيراً :كلَّفه عملاً بلا أجرة(2).

وذهب الجوهري (ت393هـ) إلى القول: ((سَخر : سَخِرت منه أسخَرُ سَخَراً بالتحريك ،ومَسْخَراً وسُخراً بالضم ...،وسَخَّرَهُ تسخيراً: كَلَّفَهُ عملاً بلا أُجرة ، وكذلك تَسَخّرَهُ.والتسخيرُ:التذليلُ))(3).

وأشار ابن فارس (ت395هـ) إلى ذلك بقوله : - سخر- يدلّ على احتقار واستذلال ، وسخرت منه إذا هزئت به ،في كتاب الله تعالى{ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ }هود38 ، ويدل على التذليل ،قال تعالى{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ }الجاثية13 (4).

وذكر ابن سيدة (ت 458هـ) : ((سخر منه وبه،سًخْرا،وسَخَرا، وسُخُراً وسِخْرِيًا ،وسُخْرِيًا ، وسُخرية : هزىء به ...، و :سِخْرِيّ وسُخْرية، مَن ذَكَّرهُ كسر السين ، ومَن أنَّثه ضمَّها . وسَخَّرَهُ يُسَخِّرهُ سِخْرِيًّا ، وسُخْرِيًّا ، وسَخَرَهُ: كَلَّفَهُ مالا يريد وقَهَرَهُ . وكل مقهور...،فذلك مُسَخَّر، وسَخَرت السفينة : أطاعتْ وجرتْ، والله سخَّرَها ، وكل ما ذلَّ وانقاد أو تهيأ لك على ماتريد ،فقد سُخِّرَ لك)) (5)،وهناك إشارة من ابن سيدة إلى أن :زغزغ به : بمعنى سَخَرَ منه ، والزغزغة : بمعنى الخفَّةِ والنزق (6).

وقد ذهب الرازي (ت 666هـ) إلى أن : س خ ر: سَخِرَ منه من باب طرب ، وسُخُرا ومَسْخَراً بوزن مَذْهَب. وحكى أبو زيد سّخِرَ منه وبه وضحك منه وبه وهزئ منه وبه ...، ورجلٌ سُخْرَةٌ كسُخْرَة يُسْخَر منه ،وسُخَرَةٌ كهُمَزَةٌ يَسخَر من الناس(7).

وذهب ابن منظور (ت711هـ)إلى القول :...قد يقال في الهزء سُخري وسِخري، ورجل سُخْرة : يُسْخَر منه ،وسُخَرَةٌ بفتح الخاء يسخر من الناس ،وتَسَخَّرت دابة لفلان ، أي : ركبتها بغير أجر ،ويقال : سَخَرْتُه بمعنى سَخَرْتُه ،أي : قهرته ،.... والتسخيرُ : التذليلُ وسُفنٌ سواخْرُ إذا أطاعت وطاب لها الريح وكل ما ذلَّ وانقاد أو تهيَّأ لكَ على ما تريد فقد سُخِّرَ لَك(8) .وذكر ابن منظور :أنَّ داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كان سُخِّرَ له الحديدُ ،فصنع منه ما أراد(9).

وقد أشار الفيروز آبادي (ت817هـ)إلى أن : سَخِرَ منه هذه هي اللغة الفصيحة، وبها ورد القرآن الكريم .قال تعالى { فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ }التوبة 79، وقال تعالى{ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ }هود38،وقال الجوهري : حكى أبو زيد : سَخِرت به وهو أردأ اللغتين ،ونُقِل الأزهري عن الفرَّاء، يُقال : سَخِرت منه ولا يقال : سَخِرت به. وكأنَّ المصنِّف تبع الأخفش حين أجاز القول :سخِرت منه وسَخِرت به كلاهما كَفَرِحَ- وكذلك –ضَحِكتَ منه وضَحِكت به وهزئت منه وهَزئت به كلٌ يُقال .ونقَل شيخنا النووي: الأفصحُ الأشهرُ: سَخِرَ منه،وإنما جاء سَخِرَ به لِتَضمُّنه معنى هزئ – سَخْراً بفتح فسكون(10) .

أمَّا نور الدين الجزائري (ت1158 هـ) فإنَّه يذهب إلى أنّ : في السخرية معنى طلب الذلّة ، لأن فيها خديعة واستنقاصاً لمن يسخر به، ولا يكون إلاّ بذي حياة ، ولأن التسخير في الأصل : التذليل (11) . وذهب الشيخ محمد جعفر الكرباسي من المحدثين إلى ما ذهب إليه الجزائري(12).

ومن دراستي لـ – سخر– في المعجمات العربية يمكن القول: إنَّ هذا الجذر يفيد معنى الاستهزاء والتهكم لغرض التوبيخ أوالازدراء، أو بيان العيوب، ومعنى هذا أنّه لفظ يَضُمّ بين طياته التهكم في اللغة، فضلاً عن دلالته على التذليل، أي : أن هذه المعجمات أظهرت لنا المعنيان الآتية :

1 – الاستهزاء والتهكم .
2 – التذليل والانقياد .

ثانياً:(سَخِرَ) اصطلاحاً :

عبر البحث عن مفهوم لفظ - سَخِرَ – اصطلاحاً ، وتبين أنَّ مفهومه يختلف عنه في اللغة .ففي الاصطلاح أن السخرية تعني: ((الخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير ،والبشارة في موضع التحذير ، والوعد في مكان الوعيد، والعذر في موضع اللوم ، والمدح في معرض السخرية ، ونحو ذلك)) (13). وهناك مَن يرى أنَّ السخرية: ((هجوم متعمد على شخص لغرض سلبه كل أسلحته وتعريته من كل ما يتخفى فيه ، ويتحصن ورائه)) (14) . ومَن ينظر لهذا المصطلح بلاغياً يُعَبر عنه: بأنه ((طريقة في الكلام يُعَبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل)) (15) . ويذهب الراغب الأصفهاني (ت502هـ) إلى القول : سَخِرت منه واستسخرته للهزء منه ، قال تعالى { إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ } هود 38 ، وقال{ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ }الصافات12، والتسخير : سياقةٌ الى الغرض المختص قهراً، قال تعالى{ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ }إبراهيم 32-33، وقال تعالى {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}النحل12، و{سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ }العنكبوت61،و كثير من الآيات المباركة ، فالمُسَخَّر هو المُقيِّض للفعل . والسُخري: هو الذي يُقْهَر فَيَتَسخُّر بإرادته (16).

وعند متابعة آيات السخرية في القرآن الكريم بدقة وتمعن ،يتبين أن للسخرية أساليب متنوعة ، منها : السخرية العقلية التي تأتي عن طريق آيات تسخر من جهل الكفار الواضح ورفضهم للحق مع وضوحه ، وهذا يؤسس جهلاً مركباً لديهم ، وفي ضوء هذا تحاول الآيات فضحهم وبيان مستوى عقولهم . والذي ينبغي التذكير به هو أن السخرية في القرآن الكريم لم تكن من أجل السخرية في ضوء ذاتها، بل قصدت إصلاح الكافرين وجعلته هدفاً سامياً ،وقد تنوعت أساليب السخرية في القرآن ، فمنها ما تم عن طريق ذكر لفظ السخرية مباشرةً،ومنها بعدم ذكر هذا اللفظ ،قال تعالى{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } الأحقاف 4 ، قال تعالى {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ } لقمان 11 ، وقال { قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاء }سبأ27،وقال {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً }فاطر40، فأسلوب السخرية في هذه الآيات واضح من خلال خطاب الله تعالى الى رسوله الكريم - ص- بسؤال المشركين على سبيل التوبيخ والتقريع لهم لإلفات نظرهم الى ما يعبدون من دون الله وإعادة النظر بشكل دقيق وجاد بما يعملون (17)، أي : أن السخرية هنا تسعى الى الاصلاح بقدر أكبر من الهزء الذي يؤدى بهذا الاسلوب .

وهناك السخرية بالصورة التي تسعى الى ابراز ما تنطوي عليه الشخصية من عيب ، أي :الرسم الساخر للشخصية ليس بقصد إثارة الضحك بل تسعى الى إظهار العيب من أجل تركه ،أي : أن الإصلاح هو الغرض المقصود منه في القرآن الكريم(18) . على أن هذا الفن شائع في المجتمع العربي بشكل كبير على مختلف مراحله(19). ولابد من الإشارة الى أن الصور التي يرسمها القرآن هي أكثر عمقاً وشمولية منها في الأدب ، فقوله تعالى {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ }الزخرف17يحمل صورة توبيخ وإنكار ، بل تسفيه لمشركي مكة ولأحكامهم الجائرة بشأن الأنثى ،إذ إن هذه الآية فيها إشارة الى سفاهة تلك العقول وسخافة تفكيرها (20) .

وهناك سُخرية التضاد التي يُقصد بها (21):((نوعٌ من الهزء قوامه الامتناع عن إسباغ المعنى الواقعي أو المعنى كله على الكلمات ،والايحاء عن طريق الأسلوب ،وإلقاء الكلام بعكس ما يُقال))، أي أن المقصود هنا :

استعمال لفظ مُعَيَن في داخل السياق يضاد له في المعنى، لجعله نقطة لإثارة الاستهزاء والسخرية، كاستعمال الهدى في سياق يتحدث عن الضلالة ، أي:أنه اجتماع أمرين يتعاكسان ويتنافران،كما في قوله تعالى {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }فصلت17،ففي الآية بيان إجمالي لأمر ثمود وما آل إليه مصيرهم نتيجة أفعالهم السيئة ،إذ إنَّهم استحبوا العمى والضلالة على الحق والهدى ،بعد أن أراهم الله تعالى الطريق الصحيح ،إلاّ أنّهم لسوء عملهم اختاروا العمى.أي أنّ الآية الكريمة تبين:انسلاخهم من إنسانيتهم وفطرتهم التي جبلوا عليها،عندما اختاروا ما يخالف هذه الطبيعة.ويرى الباحث أنّ تعدية الفعل استحبوا بـ(على)،يتضمن معنى: آثروا وفضَّلوا ،بدليل انسجام ذلك المعنى مع السياق.

وينبغي الإشارة إلى أن القرآن الكريم تضمَّن توجيهاً صريحاً بألا يسخر المؤمنون من بعضهم ،قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ }الحجرات11،فالآية فيها نهي مباشرً عن السخرية، لكننا نرى أن النهي في الآية الكريمة عن السخرية ذات الطابع الذي يسعى لهدم المجتمع ويزعزع وحدته،وهي السخرية الساعية الى الإساءة الى الغير،وهي عادة تكون محمَّلة بالحقد والكراهية .

وإذا ما أدركنا أن لكل فعل رد فعل يناسبه في القوة ويعاكسه في الاتجاه، فيمكن القول: إنّ لورود السخرية في القرآن الكريم مسوِّغاً حقيقياً متمثلاً بالرد الطبيعي اتجاه ما يصدر من سلوكيات لا أخلاقية من الكفار، فعندما يسخر الكفار من المؤمنين ويتفكهون عليهم،هذا يتطلب رداً مناسباً لهم، ومن هنا يقول بعض المحدثين:((لتأتِ السخرية منهم تعبيراً عن التناسب المذكور،أي تشكِّل جزاءً للمفارقات المشار إليها ، سواء أجَواباً كان ذلك في دنياهم أم جواباً في آخرتهم)) (22) .

وعلينا التذكير بأن السخرية في القرآن الكريم وأساليبها المتنوعة التي تم ذكرها في صفحات البحث السابقة ،تارةً عن طريق لفظ السخرية مباشرةً ،وتارة عن طريق آخر لا يستعمل فيه لفظ السخرية مباشرة، لم تكن سخرية من أجل السخرية فقط ،بل يمكن أن توصف بأنها واحدة من خطوات إصلاح الكافرين .

المبحث الأول : مديات الاستعمال القرآني للألفاظ الدالة على السخرية

قبل الشروع بذكر دلالات هذا الجذر في السياق القرآني ، تنبغي الإشارة الى أننا عن طريق البحث في الآيات التي وردت فيها إحدى صور السخرية تبين لنا أن الصور كلها ترمز الى عدوان الكفر على الإيمان ، والشر على الخير . ويمكن تصنيفها إلى النماذج الآتية (23) :

1–سخرية الكافرين من أنبيائهم المرسلين إليهم، بدافع الحقد والعناد والتشبث بالباطل والعمل على تشويه صورة الرسل، ومنهم الرسول الكريم محمد –صلَّى الله عليه وآله وسلّم – حتى لا تنتشر دعوته ولا يَقْبِلْ عليه الناس ،ويجعلوه منشغلاً بأمر نفسه عن أمور دعوته ، ففي قوله تعالى{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ }هود38-39 حكاية موقف النبي نوح – عليه السلام – وهو يستعد للطوفان ويُنفِّذ أمر ربه في ثقة وحكمة خفِيَ أمرها على قومه . ويتضح في هذه الآية خطاب للرسول الكريم - صلَّى الله عليه وآله وسلّم - يبين أنَّ ما تعرَّض له من استهزاء وسُخرية ومضايقات من قومه هو صورة لما حدث مع الأنبياء والرسل قبله ،وهو يمثل حلقة في سلسلة الجهاد الشاق الطويل الذي نهضت به الديانات ضد الباطل . قال الله تعالى مخاطباً الرسول - صلَّى الله عليه وآله وسلّم :{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }الأنعام10، ويرى الباحث أنّ مقابلة السخرية بمثلها - لفظاً – في هذه الآيات واضحة ،أما في المعنى فهناك اختلاف شاسع بينهما ، فسخرية الكافرين تعني : الهزء ، أمَّا سخرية الله تعالى فإنَّها تعني : سلاح الإصلاح الإلهي للكافرين،ويُعَدُّ ذكر العذاب في الآية الأولى وارتداد الموقف على أصحابه في الآية الثانية إبرازا لهم في صورة هي الأقرب أن تكون موضعاً للسخرية والاستهزاء .

2– سخرية الكافرين من المؤمنين ، فمنه قوله تعالى{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا و يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }البقرة212. فالسخرية في هذه الآية ممن يجهل حقيقة أمره، ويعتقد أنه أفضل من غيره،والحقيقة على غير هذا،لأن صاحب هذا الاعتقاد على وهم بسبب غروره وخسرانه الآخرة التي أعدَّها الله تعالى للمؤمنين ،إذ إنَّ منزلة المؤمنين فوق منزلة الذين غرتهم الحياة الدنيا وزينت لهم ما هم فيه فآثروا العمى على الهدى .

3– سخرية الكافرين من آيات القرآن الكريم ، ففي قوله تعالى{ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ }الصافات14 خطاب للمعاندين الذين اختاروا أن يكونوا من الصُّم البُكم العمي الذين

لايتذكرون ولا يستجيبون لصوت الهداية، فيواجهون ضعفهم أمام الآيات القرآنية بالسخرية منها،لاعتقادهم بأن عدم سخريتهم من هذه الآيات القرآنية سيكون سبباً في انهيارهم واستسلامهم كالذين أدهشهم القرآن ومَلَكَ قلوبهم ، فلذلك هم يهربون من صوت الإيمان ويَخشونه ، ويعودون الى جحودهم وعنادهم ......، أنّها صورة من صور الضعف الإنساني التي يرفضها القرآن ، لأن الإنسان السوي لايكابر الحق ولا يُعانده .

4–سخرية المنافقين الذين يَدَّعون الإيمان ويجعلون أنفسهم في صفوف المؤمنين ،إلاّ أنهم يسخرون من المتطوعين في سبيل الخير، وهم بذلك يكشفون أنفسهم على حقيقتها ، بل يؤكدون أن الانسان لايستطيع إخفاء نفسه مهما عمل وارتدى لباس غيره . قال تعالى{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }التوبة79،لذلك كان جزاؤهم من نوع ذنبهم،فلأنهم سخروا من المؤمنين جازاهم الله على سخريتهم إلاّ أن هذه المجازاة كانت من أجل إصلاحهم وإعادتهم الى جادة الصواب .

ولما تقدم لا يجوز القول بوقوع السخرية عامة في دائرة النهي أو التحريم ، وإلاّ كيف أسندها الله تعالى الى ذاته في الآيات القرآنية ، على أنَّ إسنادها الى نفسه يعطي الإباحة على إطلاقها في إطار التوجيه والإصلاح والأمر بالمعروف ومحاسبة النفس . والقرآن الكريم فيه صور مشابهة لبعض الصفات التي لا يمنعها الدين على إطلاقها ، بل يجيزها في مواقف الدفاع عن الدين والحق ،ففي قوله تعالى{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}الأنفال30 فإسناد المكر الى الله تعالى يخرجه عن دائرة التحريم ،إذْ قال تعالى{وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ }فاطر43.

وفي قوله تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }البقرة 164يكاد يتفق المفسرون (24)على أنَّ التسخير هنا بمعنى التذليل ، أي أن المعنى هو : السحاب المُذَلَّلْ بين السماء والأرض، ونرى أنَّ: التسخير لا ينحصر بنوع واحد ، فهناك التسخير المطلق ، وهناك التسخير المشروط ، وفي هذا النص القرآني نجد أنَّ التسخير مشروط ،لأن معنى التسخير هنا: إجراء الشيء على المقتضى الذي سُخِّرَ لــه،فهو- لا يقع الى الأرض ولا يرتفع – مع أنَّ الحالة الاعتيادية تقتضي أحدهما .وهذا ينسحب على النصوص القرآنية الآتية : { وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى }الرعد2، و: { وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ} إبراهيم32،و:{وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ} إبراهيم33، و: {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ }النحل12.

وعندما نتابع الآيات القرآنية التي تشتمل على لفظة (سَخِرَ) الدالة على الهزء والاستهزاء ، فنجدها في قوله تعالى{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ}المؤمنون110،و:{أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ}ص63، فيذهب الشيخ الطوسي(ت460هـ) الى أنَّ معنى سِخْرِيًا :من الاستهزاء ،ثم يذكر : ... وأصل الباب ،التسخير: التذليل (25).

ويذهب الطبرسي(ت548هـ) الى ذلك القول في تفسير قوله تعالى{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ}المؤمنون110،إذْ يقول: قال أبو زيد اتخذت فلانًا سِخريًا إذا هزئت منه وقد سخرت منه أسخر سِخريًا وسِخر،والسخرية بضم السين ما كان من العبودة (26).

ويشير ابن عاشور الى أن السخرية : الاستهزاء .يقال : سَخِرَ منه ، أي: حصلت السخرية له من كذا ، والاستهزاء : السخرية ،يقال : هزأ به واستهزأ به ،فالسين والتاء للتأكيد مثل استجاب ، أي : عامَلَهُ فعلاً أو قولاً يحصل به احتقاره أو التطرية به ،سواء أشعره بذلك أم أخفاه . والباء فيه للسببية قيل : لا يتعدى بغير الباء ، وقيل: يتعدى بــمن ، وهو مرادف سَخِرَ في المعنى دون المادة كما جاء في سورة الأنعام .وذهب ابن عاشور الى أبعد من ذلك عندما قال : ومعنى الاستهزاء في قوله تعالى {وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ }البقرة14 ،فالاستهزاء هو مرادف للسخرية في كلام أئمة اللغة ، فذكر استهزىء أولاً لأنه أشهر ، ولمَّا أعيد عبَّرَ بـ (سَخِرَوا) ، ولمَّا أعيد في المرة الثالثة رجع الى فعل (يستهزئون) ، لأنه أخف من (يسخرون) . وهذا من بديع فصاحة القرآن. و(سخروا) بمعنى هزءوا، ويتعدى الى المفعول بــ (من) ، قيل : لا يتعدى بغيرها ،وقيل : يتعدى بالباء.ويذكر ابن عاشورأن : السخريَّ : اسم مصدر سَخِرَ منه ،إذا استهزأ به ،فالسخريُّ الاستهزاء ، وهو دال على شدة الاستهزاء (27). وقد ذهب صاحب البحر

المحيط(ت 745هـ) الى أنَّ: سخر منه : هزأ به والسخري والاستهزاء والتهكم معناها متقارب ، عاقبة الشيء: منتهاه وما آل إليه (28).

أمَّا الآلوسي(ت 1270هـ) فقد أشار الى تقارب معاني السخرية والاستهزاء ، وذكر أن : سخر منه وبه كهزأ منه وبه ، فهما متحدان معنىً واستعمالاً. وقيل : السخرية والاستهزاء بمعنى ، لكن الأول قد يتعدى بـــ : من – والباء (29) . ويذهب الطبري (ت310هـ) في تفسير قوله تعالى{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ }المؤمنون110الى أن :ابن زيد قال باختلاف سِخْرِيًا ، و سُخْرِيًا ، يقول الله تعالى { وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً }الزخرف32، قال : هذا سِخْرِيًّا : يُسَخِّرونَهُم ، والآخرون : الذين يستهزئون بهم هم سُخْرِيًا ، فتلك سِخْرِيًّا يُسَخرونهم عندك ، فَسَخَّرَكَ : رفعك فوقه، والآخرون : استهزءوا بأهل الإسلام هي : سُخْرِيًّا يَسْخَرون منهم ، فهما مختلفان. وقرأ قول الله تعالى {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ }هود38وقال: يسخرون منهم كما سخر قـــــوم نوح بنوح أاتخذوهم سخريًّا : اتخذوهم هزوًاً لم يزالوا يستهزئون بهم (30). وفي تفسير قوله تعالى{ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً} الزخرف32، أشار الطبري الى أنَّ المعنى : يستخدم بعضهم بعضًا في السخرة ، وذكر القول عن الضحاك في قوله: لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً ،يعني بذلك العبيد والخدم سخُرلهم(31).

وذهب الزمخشري في تفسير قوله تعالى{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ }المؤمنون 110 الى أنَّ : السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر ، والمعنى : اتخذتموهم هزوًاً وتشاغلتم بهم ساخرين (32).

ويذهب صاحب تفسير الميزان في تفسير القرآن الى القول : قوله تعالى {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ }هود38 معناه : الاهانة والاستهزاء به في عمل السفينة (33).

المبحث الثاني:الصيغ الصرفية لـ (سخر)في السياق القرآني

إنَّ الذي ينبغي الإشارة إليه قبل الشروع بتحليل هذه الصيغ ،هو التنوع القرآني في استعمال هذا الجذر،إذْ استعمل القرآن الكريم هذا الجذر بصيغ مختلفة ومتفاوتة :كالسخرية والسخري والتسخير والمسخرات ، واستعمل الفعل منه بصيغه المختلفة – الماضي والمضارع - الثلاثي المجرد والثلاثي المزيد – على أن الغالب منها جاء على ماهو الشائع والمعروف من معناها (التسخير – التذليل)، إذ ورد بهذا المعنى - ثلاثي مضعَّف – مسند الى لفظ الجلالة - 25- مرة من أصل - 44- مرة ورد فيها هذا الجذر في القرآن الكريم. وهذا يعني أنّه أستعمل أيضًا بالمعنى الآخر المعروف (الهُزء)في المواضع الباقية، فورد فيها بصيغ إسناد مختلفة ، فجاء بصيغة الثلاثي المجرد المسند الى لفظ الجلالة مرة واحدة (سَخِرَ الله منهم)،وورد متصلاً بياء النسب ثلاث مرات{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي }المؤمنون110، و:{أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ}ص63،و:{لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }الزخرف32، وجاء خمس مرات بصيغة الأفعال الخمسة ،{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ }البقرة212، و: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }التوبة79، و:{بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ }الصافات12، و :{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ}،ومرة واحدة بصيغة (يستفعلون){وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ }الصافات14. ومرتان بصيغة المضارع {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ }الحجرات11، و : { قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ }هود38، على أن الزيادات التي تلحق هذا الجذر على نوعين :السوابق – التي تلحقه في بدايته - ، واللواحق – التي تلحقه في نهايته .

والعرب تُفَرِّق بين أبنية كلامها بالحركات ، والسكنات ، والحروف : أصلية وزائدة ، وتجعل الحرف زائدًا مرة ، وتعامله مرة أخرى معاملة الأصلي ، وقد تلحق بالبناء زيادة واحدة ، وقد تلحق به زيادتين (34).

وفي ضوء هذا يتضح أن العرب ألَّفت كلامها بدقة متناهية عبر التغيير في مبانيها ، مُعَبرة أصدق تعبير عن المتكلمين بها ، ونتج عن ذلك التغيير أسراب الألـــــفاظ في العربية ، وهذا ماجعل أبنيتها أن تجمع بين الثابت والمتحرك ، وكان ذلك من أسرار اللغة العربية في كمالها، بل هو مكمن ديمومتها ، لأن تغيير المباني للألفاظ يتولـــــد عنه تكثير المعاني،فأي تغيير لحركة من حركات البناء ، أو زيادة حرف ، ينتقل البناء الى بناء آخر له

استقلاليته بالمعنى ، وكون الزيادة لمعنى نحو حروف المضارعة ،وياء النسب ، وألف اسم الفاعل من الثلاثي ،والميم في اسم الفاعل ، واسم المفعول،واسم الزمان واسم المكان، والمصدر الميمي ، فكل حرف مما ذكرنا دال على معنى،ولمَّا كان هذا الحرف يتغير به وزن الكلمة ومعناها فهو من حروف الزيادة (35).

على إننا إذا ما أدركنا أن صيغ بناء المفردات - أسماء و أفعال – لها أهمية كبيرة في إيضاح المعاني ، فإننا سنتحدث عن الأصل أولاً – والأصل يتمثل في الصيغ المجردة من الزيادات - فالاسم والفعل هما ركنا التركيب الأساس في اللغة العربية ، ولكل منهما ميزاته عن الآخر ، يقول اللغويون : إنَّ للاسم دلالة وللفعل دلالة ، فالاسم يفيد الثبوت والدوام ، والفعل يفيد التجدد والحدوث . والسر في ذلك يكمن في التقييد والإطلاق، فالاسم غير مقيَّد بزمن من الأزمنة، أمّا الفعل فهو مقيَّد بالزمن ، فالماضي منه مُقَيَّدٌ بالزمان الماضي ، والمضارع مُقَيَّد بزمان الحال أو الاستقبال . وفي ضوء هذه الحقائق يكون الاسم هو الأعم والأشمل والأثبت لعدم تقييده بزمن من الأزمنة . فيذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) أنَّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئًا بعد شيء. وأمَّا الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء. أي: أن الاسم يراد منه إثبات الشيء ،وأما الفعل فيقصد به التجدد والحدوث، ذلك لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئًا فشيئًا (36).

وقد ذهب الفخر الرازي (ت606هـ)الى أن : اسم الفاعل يدل في أغلب المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه ، فالقول : فلان نافذ الأمر، فيه دلالة التكرار والرسوخ - أي نفهم منه ذلك -. أمَّا الفعل فهو لا يدل على ذلك ، وعندما نقول فلان نفذ أمره ، فإن المعنى منه : هو أن ذلك انتهى في الزمن الماضي ،وفي الوقت نفسه غير مترسخ (37). وجاء في كتاب نهاية الإيجاز للرازي أيضا : أن الاسم يدل على الحقيقة دون الزمان .أمَّا الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها ، أي أن : الفعل يُقَيِّد الحقيقة بزمن معين ، أمّا الاسم فيترك الحقيقة حرة مطلقة من دون تقييد بزمن . وفي ضوء هذا : فإنَّ كُل ماكان زمانيا فهو متغير ، والمتغير مُشعر بالتجدد، أي أن الإخبار بالفعل يفيد وراء أصل الثبوت كون الثابت في التجدد، والاسم لايقتضي ذلك.. (38).

من هذا يتضح أن الاسم يدل على الثبوت وأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد.ولكون الاسم دالاً على الثبوت كان الوصف بالاسم أقوى من الوصف بالفعل ، فالقول :(هو مؤمن) أثبت وأقوى من القول : (هو يؤمن).

ويقول القزويني (ت739هـ):((وأمّا كونه - يعني المسند – فعلاً للتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يكون مع إفادة التجدد ، وأمّا كونه اسماً فلإفادة عدم التقييد والتجدد)) (39) .

وقد ذكر أبو البقاء (ت1094هـ): أن الجملة الاسمية موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه بلا دلالة على تجدد أو استمرار إذا كان خبرها اسمًا فقد يُقصد به الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرائن . وإذا كان خبرها فعلاً فقد يفيد استمراراً تجددياً إذا لم يوجد داع الى الدوام... أما الجملة الفعلية فموضوعة لإحداث الحدث في الماضي أو الحال فتدل على تجدد سابق أو حاضر ، وقد تستعمل للاستمرار بلا ملاحظة التجدد في مقام خطابي (40).

وفي ضوء ما تقدم فإنَّ الزيادة على الصيغة المجردة ، لم تكن عَبثاً، بل لها أغراض ، بعضها لفظي ،وبعضها معنوي ،وأهم تلك الأغراض يتمثل في أن تكون الزيادة لمعنى لم يكُ موجوداً قبل وجودها ، وهو أقوى أنواع الزوائد، وعليه المعوَّل ،لأنّ الأصل : أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، كحروف المضارعة ، وألف المفاعلة ، والألف والسين والتاء الدالة على الطلب أو الصيرورة ،والتكرير الدال على التكثير ، وغيرها من أغراض الزيادة.

ولو تابعنا النصوص القرآنية التي ورد فيها الجذر سَخِرَ وحاولنا تصنيفها طبقاً لمعانيها ، فنجد أن هذا الجذر جاء بمعنى الهزء ، وجاء بمعنى التذليل ، وهذا ما ذهب إليه أهل اللغة ، على أن استعمال هذا الجذر بصيغه المتنوعة المتمثلة بـ : الثلاثي المجرد ،والثلاثي المزيد بغير التضعيف،وردت جميعها دالة على الهزء – الاستهزاء، أما مزيد الثلاثي بالتضعيف فجاء دالا على التذليل . وهذا ماجعل البحث لايكتمل إلا بدراسة : الاستعمال القرآني لـ (سَخِرَ) الدال على الهزء ، الاستعمال القرآني لـ (سَخَّرَ) الدال على التذليل .

المبحث الثالث:الاستعمال القرآني للجذر(سَخِرَ) الدال على الهزء

لقد ورد هذا الجذر أكثر من خمس عشرة مرة بهذه الـــــدلالة ، وورد مسنـــــداً الى الضمائر المتنوعة ، ولكل صيغة منها معنىً ، إذ ورد في قوله تعالى :{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }التوبة79، وقوله :{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ }البقرة212، وقوله{ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }الأنعام10، وقوله { وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ }هود38، وقوله {فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون }الأنبياء41، وقوله{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ}المؤمنون110، وقوله{بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ }الصافات12، وقوله {وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ }الصافات14، وقوله {أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ} ص63 ، وقوله لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}الزخرف32،وقوله{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ} الحجرات11. ففي قوله تعالى{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }التوبة79 ورد هذا الجذر مرتين ، الأولى (يسخرون منهم) بمعنى : يهزؤن باتفاق المفسرين ،والثانية(سَخِرَ الله منهم) لكن المعنى لم يكن الهزء ، بل ذهب المفسرون الى أنَّ معناه : الجزاء ، أي أن المعنى : هؤلاء الساخرين من المؤمنين جازاهم الله على سخريتهم في الدنيا ،،بأن فضحهم وأخزاهم ، وجعلهم محل الاحتقار والازدراء...أمّا جزاؤهم في الآخرة فهو العذاب الأليم الذي لايخف ولاينقطع (41).ويمكن القول في معنى (سخر) عند إسناده الى الله تعالى ، هو الجزاء باتفاق أغلب المفسرين،فصاحب تفسير أيسرالتفاسير يقول : أن معنى سخر الله منهم ،هو: أهانهم وأذلَّهم جزاءً وفاقاً (42).والحقيقة أن أهل التفسير الذين قالوا بهذا المعنى قد اعتمدوا على ماجاء في كتب اللغة .

وذهب الزجاج (ت311هـ) في باب ماجاء في التنزيل من ازدواج الكلام والمطابقة والمشاكلة وغير ذلك ،الى القول: وهو باب واسع ، مرة يشاكل اللفظ باللفظ ، والمعنى بالمعنى ، وباللفظ دون المعنى ، وبالمعنى دون اللفظ ، ومن ذلك قراءة : (وما يخادعون إلاّ أنفسهم) بالألف طابق به قوله {يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ }البقرة9. وأراد أن يكون اللفظ المثبت هو المعنى،ومثله{إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}البقرة14، ويقابله قوله تعالى{اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ }البقرة15، والثاني بمعنى :جزاء الاستهزاء، ومثله{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }الأنفال30، أي : يجازيهم الله ، ومثله:{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}التوبة79، ومثله{وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} الشورى40، فهذا كله طباق على المعنى وروعي في (مايخادعون)طباق اللفظ والمعنى(43).

وجاء في كتاب الصاحبي في فقه اللغة باب تحت عنوان باب المحاذاة ، جاء فيه ، معنى المحاذاة : أن يُجعل كلام بحذاء كلام ، فيؤتى به على وزنه لفظاً وإنْ كان مختلفين ، فيقولون : أعوذ بك من السَّامَّة واللاّمّة ، فالسَّامَّة ...وكذا باب المحاذاة .

ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه نحو{إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ }البقرة14-15، أي :يجازيهم الله جزاء الاستهزاء،.ومثله في شعر العرب قول القائل(44) :

ألا لايجْـــــهَلَنْ أحـــــدٌ علينا فنجهَلَ فوق جهل الجاهليــــــــنا

وذكر صاحب المزهر الكلام نفسه بمعناه و شواهده القرآنية والشعرية(45) .وكذلك صاحب مجمع البحرين(46). .وذهب صاحب البحر المديدفي تفسير قوله تعالى{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}التوبة79 الى ذلك القول (47). وكذلك صاحب المحرر الوجيز فإنَّه يشير في تفسير قوله تعالى{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}التوبة79الى القول : إنَّ معنى قوله تعالى {سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}: تسمية العقوبة باسم الذنب وهي عبارة عمَّا حلَّ بهم من المقت والذل في نفوسهم (48). وذهب الشيخ الطوسي(ت460هـ)الى أن معنى{سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}:يجازيهم على سخريتهم بأنواع العذاب.ولما كان ضرر سخريتهم عائداً عليهم جاز أن يقال{سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ} لا أن يهزأ منهم (49).وكذلك الطبرسي (ت 549هـ)فإنه يذهب الى أن معنى قوله{ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}، أي :جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا الى النار (50) .ويذهب صاحب تفسير الميزان عند تفسير قوله تعالى{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}التوبة79 الى القول : ويدل على اعتبار المجازاة والمقابلة بالمثل في الآية قوله {كَمَا تَسْخَرُونَ}(51).ويذهب الشيخان الآصفي والصافي في تفسيريهما الى أن معنى قوله تعالى{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ} :يستهزئون،ومعنى قوله{سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}: جازاهم جزاء السخرية (52).وذهب الى ذلك المعنى صاحب الأمثل في تفسير القرآن إذ قال :ليس المراد من جملة {سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}:أن الله سيعمل أعمالاً

تشابه أعمالهم، بل المراد كما قاله المفسرون : إنَّ الله تعالى سيجازيهم على ماعملوا من الأعمال السيئة ، أو أنه تعالى سيحقِّرَهم كما حَقَّروا عباده وسخروا منهم (53). وكذلك صاحب تفسير تبيين القرآن فهو الآخر قد ذهب الى ذلك المعنى(54). وذهب صاحب تفسير نور الثقلين في تفسير قوله تعالى {فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}التوبة79 الى أن :الله تعالى لايسخر ولا يستهزىء ولايمكر ولايخادع ، ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة ، تعالى عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً(55).وجاء في تفسير كنز الدقائق: لقد روى رئيس المُحَدِثين في كتاب التوحيد بإسناده، عن علي بن الحسين بن فضّال ، عن أبيه ، عن الرضا علي بن موسى-عليه السلام – قال : سألته عن قول الله عز وجل{سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ} ،وعن قوله{اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ }وعن قوله {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ}وعن قوله{يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} ،فقال :إن الله تبارك وتعالى لايسخر ولايستهزىء،ولايمكر ولايخادع،ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء ،وجزاء المكر والخديعة،تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً.وإنزال الهوان والحقارة بهم ،لأنه الغرض من الاستهزاء (56).

لكن الباحث يرى أن معنى (سَخِرَ) في النص القرآني{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}التوبة79 يمكن أن يكون بمعنى : (غَضِبَ – سَخِطَ) عليهم ، بدليل أن الفعل (سَخِرَ) جاء في لغة العرب بهذا المعنى ، إذ ذكر صاحب التذكرة الحمد ونية الرواية الآتية (57): سَخِرَ الرشيد على حميد الطوسي فدعا له بالنطع والسيف فبكى ، فقال : مايبكيك ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما أفزعُ من الموت فإنه لابد واقع، وإنما بكيت أسفاً على خروجي من الدنيا وأمير المؤمنين ساخطاً عليَّ، فضحك وعفا عنه . ومن هذه الرواية يتضح أن معنى(سَخِرَ): سَخطَ، بدلالة قوله:ساخطً عليَّ،وعدم قوله :هازئاً بي ، فضلاً عن أنَّ صفات (الغضب - والسخط) هي من الصفات الإلهية الخبرية،إذ إنّ الصفات الإلهية على قسمين(58): الصفات العقلية - هي التي يمكن أن يستدل عليها بالعقل فطريق إثباتها السمع والبصر ، كالعلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر والكلام والرحمة والحكمة والعلو ونحوها . والصفات الخبرية - هي التي لا يستطيع العقل إدراكها من غير طريق النصوص، أي : أن الصفات الخبرية يجب الإيمان بها كالعقلية من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف،قال تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }الشورى. وقد ذكر الله تعالى هاتين الصفتين (الغضب - والسخط) في قوله تعالى{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ}محمد28،وقوله تعالى{وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} النساء93،وقوله تعالى{وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} المائدة60،وقوله تعالى{ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ }الفتح6.

وإذا ما عُدنا الى استعمال القرآن الكريم لهذا الجذر ، فنجد استعماله بصيغة الماضي المتصل بـ(واو الجماعة) ثلاث مرات في قوله تعالى{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }الأنعام10، وقوله تعالى{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ }هود38،وقوله{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون }الأنبياء41،وقد اتفق المفسرون (59)على أن معنى (سخروا)في هذه النصوص القرآنية : استهزؤا به.

لكن الباحث يرى أن معنى (سخر) لايطَّرد بمعنى الاستهزاء، بدليل قوله : وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم ،إذ لو كانا بالمعنى نفسه لما تنوعت الألفاظ، والذي نراه أنَّ السخرية هي درجة من درجات الاستهزاء،ونعتقد ذلك لأن الفرق بين الهزء والسخرية يتمثل باشتمال السخرية معنى الذلة،لأن التسخير: التذليل،والهزء يقتضي طلب صغر القدر مما يظهر في القول (60).

وقد ورد هذا الجذر بصيغة المضارع للمتكلم ، وللغائب، وللمخاطب ،فجاء في قوله تعالى {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ } الصافات12 ، وقوله {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ }البقرة212،وقوله{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }التوبة79،وقوله{قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ }هود38، وقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ }الحجرات11.ويكاد يتفق الجميع على أن معنى هذا الجذر هنا الاستهزاء.وورد هذا الجذر بصيغة (يستسخرون)في قوله تعالى{وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ }الصافات14،ويتفق المفسرون(61) على أن معنى (يستسخرون): يسخرون ،ومنهم مَن ذهب الى أنهما لغتان (62)،وقيل معناه : أن يستدعي بعضهم بعضاً الى إظهار السخرية(63).والذي ينبغي الإشارة إليه في هذا الموضع يتمثل في أن السياق القرآني يتصف بالدقة في وضع الألفاظ ورصف بعضها مع بعض ،فهو يستعمل الفعل الثلاثي استعمالاً فنياً – مجرداً ، ومزيداً بحرف

واحد أو حرفين أو ثلاثة أحرف – بحسب ما يقتضيه المقام .على أن هذا العدول في الاستعمال القرآني يكون وفق ما يقتضيه السياق القرآني من نسبة في التغيير والتجدد والحدوث . وفي ضوء هذا يرى الباحث أن لفظة (يستسخرون)تحمل معنى إضافيا على المعاني الموجودة في (يسخرون)، يتمثل في : أن معنى (يسخرون) : السخرية من الآخر تقتصر على الساخر وحده –أي أن السخرية تقتصر عليه فقط، أمَّا معنى (يستسخرون)، فيرى الباحث أن فيه إشراكا للآخرين في السخرية - أي دعوة الآخرين لأن يسخروا- ويترتب على هذه الدعوة تقديم جهود إضافية في سبيل تحقيق هذا الغرض ،وأن إشراك الآخرين في هذه السخرية تُعَمّمها ، بل تُخرجها من إطارها الضيق الذي ينحصر في شخصية الساخر.

ولقد ورد (سخريًّا) في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ، إذ ورد في قوله تعالى {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ}المؤمنون110،وقوله{أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ}ص63،وقوله{لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }الزخرف32.قال من علماء اللغة والنحو (64) إنَّ قوله: سِخريّا و سُخريّا قد قرئ بهما جميعاً ،والضمُّ أجود(65)،والضم لـ(نافع وحمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف ووافقهم الأعمش، والكسر للباقين). وقال الكسائي : سمعت العرب تقول : بحرٌ لُجِّي ولَجِّي ،و:دُرِّي ودِرِّي منسوب الى الدر، والكُرسيّ والكِرسيّ وهو كثير. وهو بمنزلة قولهم :العُصيَّ(جمع العصا) والعِصيَّ والأُسوة والإِسوة (66). وجاء في الكشاف : والسخري- بالضم والكسر - : مصدر سخر كالسخر، إلاّ أن في ياء النسب زيادة قوة في الفعل(67)، كما قيل: الخصوصية في الخصوص،وهذا عن الخليل وسيبويه(68) . وعن الكسائي والفراء: أن المكسور من الهزء ، والمضموم من السخرة والعبودية ، أي :تسخروهم واستعبدوهم . على أن النسب في العربية على صيغ متعددة ، وصيغة (سخريّ) واحدة من هذه الصيغ ، بل أشهرها، وهي الصيغة العامة له وتستعمل لعموم أغراضه . قال سيبويه : ((اعلم أنك إذا أضفت رجلاً الى رجل فجعلته من آل ذلك الرجل ألحقت ياءي الاضافة فإن أضفته الى بلد فجعلته من أهله ألحقت ياءي الإضافة وكذلك إن أضفت سائر الأسماء الى البلاد أو الى حي أو قبيلة))(69).

ولقد تابع المفسرون أهل اللغة في ذلك ، فذهب الطبري الى القول : واختلف القرَّاء في قراءة قوله (سخريّا)، فقرأه بعض قرَّاء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة : (فاتخذتموهم سِخريّا) بكسر السين ، ويتأولون في كسرها : أن معنى ذلك الهزء ، ويقولون : إنَّها إذا ضُمَّت فمعنى الكلمة : السخرة والاستعباد، والمعنى : هُزءاً ولعباً، تهزءون بهم حتى أنسوكم ذكري . وقرأ عامة قُرَّاء المدينة والكوفة (فاتخذتموهم سُخريّا) بضم السين ، وقالوا : معنى الكلمة في الضم والكسر واحد. وذكر سماع بعضهم عن العرب : لِجيّ – ولُجيّ ، و : دِريّ – ودُريّ، وقالوا :إنّ هذا نظير قولهم في جمع العصا : العِصيّ بكسر العين ، والعُصيّ بضم العين ، قالوا : وإنمّا اخترنا الضم في السخري ، لأنه أفصح اللغتين ، ويذكر الطبري أن القراءتين صحيحتان ، وهما لغتان بمعنى واحد، وليس هناك من يُفرّق بين معنى الضم والكسر، وذكر الطبري : اتخذوهم سخريّا : اتخذوهم هزؤا ، لم يزالوا يستهزئون بهم(70) . وذهب الشيخ الطوسي الى القول : فاتخذتموهم سِخريّا ،من الاستهزاء ، وسُخريّا من تسخير الحول وما أشبهه. وأصل الباب ، التسخير : التذليل. وذكر : أنه قيل : (السُخري) بضم السين من التسخير ، و(السِخري) بكسر السين من الهزء، وقيل : إنَّهما لغتان.وذكر أن نافع وحمزة والكسائي قرأوا (سُخريّا)بضم السين ، والباقون بكسرها (71).

ويذهب البيضاوي الى القول{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً }المؤمنون110،: هزواً،قرأ نافع وحمزة والكسائي في هذه السورة وفي سورة (ص) بالضم ،وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة،وعند الكوفيين المكسوربمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية(72).ولقد ذكر الرازي : وفي حرف أُبَيّ :وقرأ نافع وأهل المدينة وأهل الكوفة عن عاصم بضم السين في جميع القرآن ، وقرأ الباقون بالكسر ههنا وفي سورة (ص)قال الخليل وسيبويه:هما لغتان كدِريّ،ودُريّ. وقال الكسائي والفراء الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول، والضم بمعنى السخرية (73). وذهب صاحب تفسير زاد المسير الى القول : قوله تعالى سِخْرِيّاً ، قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو حاتم عن يعقوب: سُخريّاً بضم السين هنا وفي سورة (ص)،وتابعهم المفضل في سورة (الزخرف32)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ، وعاصم وابن عامر بكسر السين في السورتين ،ولم يختلف في ضم السين في الحرف الذي في(الزخرف 32)، واختار الفراء الضم ، والزجاج الكسر ، وفي معناهما قولان :الأول : إنهما لغتان ومعناهما واحد،قاله الخليل وسيبويه ومثله قول العرب بحر لُجيّ –لِجيّ ،وكوكب دُريّ – دِريّ .الثاني :ان الكسر بمعنى الهزء ،والضم بمعنى السخرة والاستعباد،قاله أبو عبيدة ، وحكاه الفراء ، وهو مروي عن الحسن وقتادة .قال أبو علي : قراءة الكَسر أرجح من قراءة الضم ،لأنه من الهزء ، والأكثر في

الهزء كسر السين (74).ويذهب صاحب تفسير التحرير والتنوير الى القول : إنَّ(السخري) : اسم مصدر سَخِرَ منه،إذا استهزأ به ، فالسخريُّ الاستهزاء ، وهو دال على شدة الاستهزاء لأن ياءه في الأصل ياء نسب ، وياء النسب تأتي للمبالغة في الوصف . وقرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بضم السين ،وقرأه الباقون بكسر السين (75). وفي ضوء ما تقدم يتضح أن ياء النسب عند إضافتها إلى الوصف فإنها تقوِّيه،لأنها تأتي للمبالغة في الوصف،وهي هنا تدل على شدة الاستهزاء .

وفي نهاية هذا المبحث الذي تحدثنا به عن الجذر (سخر) الدال على الهزء ، يمكن القول : إنَّ البحث توصَّل الى إثبات معنى جديد لهذا الجذر ، وقد استعمل في قوله تعالى { فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }التوبة79،فإنّ المعنى لـــ(سَخِرَ)في هذا النص في ضوء رؤية الباحث يتمثل بـــ : غَضِبَ – سَخِطَ ، لورود هذا المعنى في اللغة العربية أولاً ،وبدلالة تكملة النص القرآني (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)،إذ لو كان المعنى : جازاهم ،لما كان هناك ضرورة لذكر (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)،وإلاّ ماذا نفهم من المجازاة ،ولذلك يرى الباحث أن المعنى هنا : غضب –سخط ، وترتب على ذلك الغضب أو السخط : كان لهم عذاب أليم .

المبحث الرابع : الاستعمال القرآني لـ (سَخَّرَ) الدال على التذليل

لقد ورد هذا الجذر(سخر)بصيغة مزيد الثلاثي بالتضعيف دالاً على التذليل باتفاق أهل اللغة ، إلاّ أن بعض المفسرين(76) هنا قد أثبتوا معنىً جديداً له لم يذكره أهل اللغة ،وما كان من الباحث إلا الإصرار على معرفة المسوغات التي سوَّغت لهم بالقول بالمعنى الجديد لهذا الجذر، وبعد البحث والتقصي في كتب اللغة وجد الباحث أن ذهاب هؤلاء المفسرين إلى ذلك المعنى لم يتأت من فراغ ، بل من ايجادهم أصل لهذا الجذر في اللغة – وسنتحدث عن ذلك في الصفحات القادمة من البحث إن شاء الله - وقد ورد هذا الجذر – الثلاثي المزيد - بمعنى التذليل ،مسنداً الى الضمائر ،ولكل حالة من هذه الأحوال معنى ، وهذه الصيغ هي : (سَخَّرَ) وقد ورد ست عشرة مرة متمثلة في قوله تعالى {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى }الرعد2،و:{ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ }إبراهيم32، و:{وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ }إبراهيم33، و:{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}النحل12،و:{وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ} النحل14،على أن معنى مواخر:مرسلات (77) ،و:{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ} الأنبياء79،و:{كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }الحج36، و:{كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}الحج37،و:{اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ}الجاثية1،و:{وَسَخَّرَلَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً}الجاثية13،و:{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً}الحاقة7.وفي آيات أخرى.

وقد ذهب أصحاب المعجمات الى أن معنى الجذر (سَخَّرَ)في صيغة مزيد الثلاثي يكون بعنوان التذليل .فالخليل الفراهيدي (ت175هـ) ذكر : قد سَخَّرَها الله لخلقه تسخيرا ، وتَسَخَّرَت دابة لفلان:ركبت بغير أجر (78). وذكر الأزهري (ت370هـ): وقد سَخَّرَها الله تسخيراً، وتَسَخَّرَتُ دابةٌ لفلان : ركبتها بغير أجر(79) . وذهب الجوهري (ت393هـ)الى القول : سَخَّرَه تسخيراً : كلَّفَه عملاً بلا أجرة ، وكذلك تَسَخَّرَه . والتسخير : التذليل(80) . وتابع الرازي علماء اللغة بهذا الشأن ،فذكر : سَخَّرَه تسخيراً كلَّفَه عملاً بلا أجرة......، والتسخير أيضاً : التذليل (81). وأيَّدهم بالقول الفيروز آبادي (ت817هـ)عندما ذكر : سَخَّرَه تسخيراً : ذلله، وكلَّفَه عملاً بلا أجرة (82). وهناك من يذهب الى أن التسخير: هو الانتقال الى حالة ممتهنة ، إذ التسخير لغةً :هو الذلة والامتهان في العمل،قال تعالى{سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ }الزخرف13(83).

ويتفق المفسرون مع أهل اللغة والمعجمات في تحديد معنى التسخير : بالتذليل. فيذهب الشيخ الطوسي (ت460هـ) في تفسيره الى القول، تقول : سَخَّرَ الله لفلان كذا إذا سَهَّلَه لــه ، كما سَخَّرَ الرياح لسليمان . ؤسَخَّرتُ الرجل تسخيراً إذا اضطهدته فكلَّفته عملاً بلا أجرة ، وهي السُخرة ، وسَخِرَ منه إذا استهزأ به (84) . ويتابع الواحدي (ت468هـ) في تحديد هذا المعنى ، فيقول : قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً }النحل14: ذَلَّلهُ للركوب والغوص (85).

ويذهب ابن عطية (ت546هـ)الى القول : وتسخير البحر : هو تمكين البشر من التصرف وتذليله للركوب والإرفاق وغيره (86).وكذلك الطبرسي (ت548هـ)كان من المتابعين بإقرار هذا المعنى ، فذكر : قوله تعالى {وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ }إبراهيم33 أي : ذلَّلهما لمنافع خلقه ومصالح عباده . وكذلك في قوله

تعالى{وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى }الرعد 2، أي : مَن ذللهما وسيرهما في دورانهما على طريقة واحدة (87) .

ويذهب الآلوسي (ت1270هـ)الى القول : قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ }الحج65، أي : جعل مافيها من الأشياء مُذلَّلة لكم ، مُعدَّة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم (88).وكذلك الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار (ت1393هـ) فهو الآخر يتابعهم بهذا المعنى، فيشير الى أن معنى قوله تعالى{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ }الأنبياء79:أنَّه سَخَّرَ الجبال، أي : ذَلَّلها،وسَخَّرَ الطير تُسَبح مع داود(89).

وفي قوله تعالى{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ }الحاقة7،ذهب الشيخ الطوسي الى أنه اخبار منه تعالى أنه أهلكهم بهذه الريح في هذه الفترة لما في ذلك من الارهاب والتخويف (90). أمَّــا الطبرسي فيقول :إنَّ معنى (سَخَّرَها عليهم سبع ليال): سلَّطها الله وأرسلها (91).وذهب صاحب التحرير والتنوير الى أن التسخير : الغصب على عمل واستعير لتكوين الريح الصرصر تكويناً متجاوزاً المتعارف في قوة جنسها فكأنها مكرهة عليه ،وعلق به عليهم ،لأنه ضمن معنى أرسلها(92).وكذلك صاحب الكشاف ذهب الى أن معنى{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً }: سَلَّطها عليهم كما شاء(93).وتابعهم البيضاوي ،إذ أشار الى أنَّ معنى قوله تعالى{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً }: سَلَّطها عليهم بقدرته (94)0 .وذهب صاحب تفسير زاد المسير الى أن معنى قوله تعالى {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً }: أرسلها وسَلَّطها . والتسخير : استعمال الشيء بالاقتدار(95).

وبهذا يتضح أنَّ القرآن الكريم استعمل لفظ - سَخَّرَ – استعمالاً أدَّى الى خروجه من الدائرة الضيقة التي حصرها فيها علماء اللغة عندما اتفقوا على أن معناه (التذليل)، لكن المفسرين اتفقوا على أن معناه في قوله تعالى{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً } لم يكن المعنى الذي قال به أهل اللغة (التذليل)، بل ذهبوا الى أنّ معناه في هذا النص القرآني : الإرسال ، أو:التسليط .

وفي هذا دليل على أن الزيادة التي صاحبت الجذر (سخر)عبر التضعيف ، قد آتت بثمارها من خلال زيادة معنىً لم يكن موجوداً من قبل ،على أن هذا النوع من الزيادة هو أقوى الزوائد.والذي ينبغي الإشارة إليه في ضوء رؤية الباحث: يتمثل في أن ذهاب المفسرين الى هذا المعنى الجديد كان متأتياً عبر عودتهم الى القرآن الكريم ،ووجودهم لفظة(أرسلنا) في القرآن بمعنى (سّخَّرنا)، لذا يُمكن القول : إنَّهم فَسَّروا القرآن بالقرآن .فيذهب الآلوسي في تفسير قوله تعـــــالى{وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً }الأنعام6، أن المعنى : يذهب للإيذان بكونها مُسَخَّرَة مستمرة الجريان(96). ويذهب السعدي في تفسير قوله تعالى{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً }الحجر22 الى أن المعنى : وسَخَّرْنا الرياح (97). وذهب صاحب المصحف المُيسَّر الى ذلك المعنى ، فذكر أن : معنى قوله تعالى{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ }:وسَخَّرْناها تُلقِّح (98).وذهب الأصفهاني في المفردات الى القول : يرسل : يُسّخِّر، والأصل الإرسال ، والإرسال يعني : التسخير قال تعالى {وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً }الأنعام6 (99). وبهذه الدراسة (مديات الاستعمال القرآني لـ – سخر- جذرا ومفهوما) ندعو الله أن نكون قد وُفقّنا في الوصول الى غاية البحث المرجوة . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الخاتمة والنتائج

بعد أن مَــنَّ الله تعالى علينا في البحث عن الاستعمال القرآني للجذر – سَخر -، والآن وقد انتهيت من بحثي هذا ، تنبغي الإشارة الى أهم ما توصل إليه البحث من نتائج ، وكانت ما يأتي :

1- تيقن البحث من أن هناك معنىً للجذر(سَخِرَ) في القرآن الكريم لم يتطرق إليه علماء اللغة والمفسرون،تمثل هذا المعنى بـــ :(غَضِبَ - سَخِطَ)، وقد عزَّز هذا الرأي وجود استعمال لهذا الجذر في اللغة، فضلاً عن أنها من الصفات الإلهية الخبرية.
2- توصل الباحث الى أن المعنى الجديد لـــ (سَخَّرَ) مزيد الثلاثي بالتضعيف والمتمثل بـــ(أرسل)الذي قال به المفسرون جاء نتيجة لانطلاقهم من تفسير القرآن بالقرآن ، إذ وجد الباحث ورود استعمال الفعل (أرسل) بمعنى (سّخَّرَ) في القرآن الكريم .
3- تبين من البحث أن الاستعمال القرآني لألفاظ العربية كان أوسع من مرونة اللغة في استعمال مفرداتها ،إذ تيقن البحث من أنه لا محدودية لمعاني الألفاظ في الاستعمال القرآني،وإذا هناك من يقول بمحدودية الألفاظ في الاستعمال القرآني فهو على وهم .

4- اتضح من البحث أن معاني الألفاظ تُزاد في الاستعمال القرآني بزيادة البناء،فكلمّا زيد في البناء ازداد المعنى ،إذ إنَّ لكل بناء دلالة معينة ، وهذا يؤدي الى تعدد المعاني تبعاً لتعدد المباني .

5- أكد البحث على أن مديات الاستعمال القرآني لمفردات اللغة العربية عامةً ، تؤلِّف وجهاً مهماً من وجوه الإعجاز القرآني .

الهوامش

1- ينظر : معجم العين :306/1،مادة(سخر)
2- ينظر : تهذيب اللغة : 167/7-168، وينظر : معاني القرآن للفراء :72/3
3- الصحاح في اللغة :307/1
4- ينظر : معجم مقاييس اللغة : 111/3 ،مادة(سخر)
5- ينظر : المحكم والمحيط الأعظم : 209/2،299، 328
6- ينظر : م . ن : 140/1
7- ينظر : مختار الصحاح :140/1
8- ينظر : لسان العرب : 352/4،و:37/8
9- ينظر :م .ن : 237/14
10- ينظر : القاموس المحيط :2932/1، مادة(سخر)
11- ينظر : فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات :146-147
12- ينظر :الرسالة التامة في فروق اللغة العامة :121
13- أنوار الربيع :185/2 ،وينظر :تحرير التحبير :568
14- ينظر :معجم المصطلحات الأدبية :112-113
15- ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب :112،مادة (السخرية)
16- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 402
17- ينظر : الحواميم السبع : 94- 107
18- ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : 188
19- ينظر : جحا العربي : 244
20- البصائر :140/37 ، و:ينظر : صفوة التفاسير :153/3
21- المعجم الأدبي ،مادة (سخرية)
22- القواعد البلاغية : 79،و: البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي:52
23- ينظر : السخرية في أدب المازني : 7-12
24- -ينظر:جامع البيان في تفسير آي القرآن:160/10،و:179/17،و :80/19 و:ينظر :التبيان في تفسير القرآن :331/7، 262 وينظر : الكشاف :151/1،و : 276/6 و:ينظر :البحر المحيط :228/1، و: 250/3 و: ينظر :التحرير والتنوير :74/2،و :69/3 و: ينظر :مجمع البيان :4130/1
25- ينظر : التبيان في تفسير القرآن :2/ 58- 26
26- ينظر : مجمع البيان :187/7
27- ينظر: التحرير والتنوير :346/6،و:370/4، و:253/12،و:240/2 28
28- ينظر :البحر المحيط :71/5 ومابعدها
29- ينظر : روح المعاني :244/5 30
30- ينظر : جامع البيان :80/19 ومابعدها 31
31- ينظر : م . ن : 596/21
32- ينظر : الكشاف : 371/4
33- ينظر : تفسير الميزان : 117/10
34-ينظر :معاني الأبنية في العربية : 17-19
35- ينظر :المقرّب لابن عصفور :500-503، و: الممتع في التصريف :56/1،و:الخصائص :35/1-37
36- ينظر : دلائل الإعجاز :133-134

37-ينظر :التفسير الكبير : 25/ 29
38-ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز :40-41
39- ينظر :الإيضاح للقزويني : 87/1
40-ينظر : الكــليات : 140 ومابعدها
41- ينظر : تفسير الوسيط :2020/1
42-ينظر : أيسر التفاسير :1315/1
43- ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج :276/1-277
44-ينظر : الصاحبي في فقه اللغة : 58/1
45- ينظر : المزهر : 104/1
46- ينظر : مجمع البحرين : 223/7 -228
47-ينظر : البحر المديد :286/5،و :208/4،و: 430/2
48-ينظر : المحرر الوجيز :289/3
49- ينظر :التبيان في تفسير القرآن :261/5، و: 337/9
50-ينظر :مجمع البيان : 83/5
51-ينظر : تفسير الميزان : 117/10
52-ينظر : تفسير الصافي :41/2، و: تفسير الآصفي :273/2
53-ينظر :التفسير الأمثل :142/2
54- ينظر :تفسير تبيين القرآن : 287/1
55- ينظر :تفسير نور الثقلين :274/3
56- ينظر:كنز الدقائق:142/1،و:105/3،و:كتاب التوحيدباب163:21الحلقة الأولى
57- ينظر :التذكرة الحمد ونية :10/3
58 –ينظر : الإيمان بالله : 81 -85
59-ينظر :التبيان في تفسير القرآن :84/4،و :التحرير والتنوير :370/4،و :البحر المحيط :87/5
60- ينظر :فروق اللغات : 147،وينظر:الرسالة التامة في فروق اللغة العامة :121، و:التبيان في تفسير القرآن :245/7
61-ينظر:مجمع البيان:462/8،وتفسير الآصفي:274/5،و:التحرير والتنوير:96/32
62-ينظر :التبيان في تفسير القرآن :472/8
63-ينظر:الكشف والبيان:301/11،و:النكت والعيون:459/3،و:أيسر التفاسير:3700/3
64-ينظر :معاني القرآن للكسائي :202، و:معاني القرآن للفراء :243/2
65-ينظر :معجم القراءات القرآنية :226/4،و:273/5،و :111/6
66- ينظر :معاني القرآن للكسائي :204 -205
67-ينظر : الكشاف :370/2، و: 371/4
68-ينظر : الكتاب :68/2
69- ينظر : م . ن :69/2
70- ينظر : جامع البيان :80/19-81
71- ينظر :التبيان في تفسير القرآن :2/،و :392/7،و :56259/8
72-ينظر :تفسير البيضاوي :359/4
73- ينظر : التفسير الكبير :212/11
74-ينظر : زاد المسير :427/4
75-ينظر: التحرير والتنوير:253/13
76-ينظر:مجمع البيان:96/10،و:التحرير والتنوير:276/15،و:الكشاف:131/7
77- ينظر :الصحاح في اللغة :161/2،و :المحكم والمحيط الأعظم:335/2
78-ينظر : معجم العين :306/1،و:196/4
79-ينظر :تهذيب اللغة :44/2

80- ينظر :الصحاح في اللغة :307/1
81- ينظر :مختار الصحاح :140/1
82- ينظر : القاموس المحيط :428/1
83- ينظر : استنباط الأحكام من النصوص :60-61
84- ينظر : التبيان في تفسير القرآن:58/2
85- ينظر :تفسير الوجيز للوا حدي :416/1
86-ينظر :المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :155/4
87-ينظر : مجمع البيان :4/6
88- ينظر :روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :125/13
89-ينظر : أضواء القرآن في تفسير القرآن بالقرآن : 298/4
90-ينظر :التبيان في تفسير القرآن :91/10
91 -ينظر :مجمع البيان : 98/10
92-ينظر :التحرير والتنوير :271/15
93- ينظر :الكشـــــاف 131/7
94- ينظر :تفسير البيضاوي :318/5
95- ينظر : زاد المسير :64/6
96- ينظر :روح المعاني :233/5
97: ينظر :تفسير السعدي :430/1
98- ينظر : المصحف الميسر : 20/2
99-ينظر : مفردات الفاظ القرآن الكريم : 286-287

روافد البحث

***القرآن الكريم**

1- استنباط الأحكام من النصوص،الدكتورأحمد الحصري،طبعة ثانية،دارالجيل، بيروت- لبنان ،1417هـ - 1997.
2- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،تأليف محمد الأمين بن محمد المختار(1320هـ - 1393هـ)، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان .
3- إعراب القرآن،لأبي أحمد بن محمد إسماعيل النحاس(ت338هـ)، تخريج وتحقيق: الدكتور محمد محمد ثامر،والدكتور محمد رضوان ، والشيخ محمد عبد المنعم ،دار الحديث ، القاهرة ،1428هـ 2007م .
4- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج(ت311هـ)،لعلي بن الحسين الباقولي (ت543هـ)المعروف بـ(جامع العلوم)، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، قدَّم له : محمد عبد المجيد الطويل ، عميد دار العلوم بجامعة القاهرة.
5- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَّل ، العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مطبعة أمير المؤمنين (عليه السلام)،قم ، إيران ،1421هـ.
6- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمّى بتفسير البيضاوي ، للإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيـــع .
7- أنوار الربيع في أنواع البديع ، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني ، حققه وترجم لشعرائه : شاكر هادي شكر ، الطبعة الأولى ، مطبعة النعمان ، النـــجف الأشرف، 1388هـ -1968م .
8- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، وبهامشه نهر الخير ،أبو بكر جابر الجزائري ، دار أضواء المنار ، المملكة العربية السعودية ، 1419هـ .
9- الإيمان بالله،الدكتور علي محمد محمد الصلابي دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1432هـ - 2011م
10- البحر المديد،أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الإدريسي الفاسي (1224هـ) ، الطبعة الثالثة ،دار الكتب العلمية ، بيروت 1423هـ -0 2002م .

11- البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي ،الدكتور محمود البستاني ، الطبعة الأولى ، دار الثقة للطباعة والنشر ، 1422هـ .

12- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي (ت1205هـ)،المطبعة الخيرية بمصر،1306هـ 0التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت460هـ)،تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتبة الأمين ، النجف الأشرف 1382هـ - 1963م .

13- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن ،ابن أبي الاصبع المصري (ت654هـ)، تقديم وتحقيق :الدكتور حفني محمد شرف،مطابع الإعلانات الشرقية 1383هـ -1963م .

14- التذكرة الحمد ونية ، تصنيف ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد علي (495هـ -562هـ)، الطبعة الثالثة، 2009م دار صادر ، بيروت –لبنان .

15- تفسير البحر المحيط ، أثير الدين ابوعبد الله محمد يوسف الشهير بأبي حيان(ت754هـ)، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض – السعودية

16- تفسير الآصفي ، لمحسن فيض الكاشاني (ت1091هـ)، الطبعة الأولى ،مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي 1418هـ .

17- تفسير تبيين القرآن ، السيد محمد الحسيني الشيرازي ، الطبعة الأولى، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر 1389هـ .

18- تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي (ت1112هـ)،تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، الطبعة الرابعة ، 1412هـ ،مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر ، قم – طهران .

19- تفسير التحرير والتنوير ،محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر 1984م.

20- تفسير الصافي ، لمحسن فيض الكاشاني (ت1091هـ)، الطبعة الثانية ،مؤسسة الهادي ، قم المقدسة ، مكتبة الصدر ، طهران 1416هـ .

21 - تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي ، فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت604هـ)، الطبعة الثالثة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1985م .

22- تفسير الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي (ت427هـ)،دراسة وتحقيق الإمام محمد بن عاشور ، مراجعة الأستاذ نظير ألساعدي ، الطبعة الأولى ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت –لبنان ، 1422هـ - 2002م .

23- تفسير النكت والعيون المشهور بتفسير الماوردي(ت450هـ)تصنيف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ،راجعه وعلّق عليه السيد ابن عبد المقصود ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، تحقيق : خضر محمد خضر ، طبعة الكويت 1402هـ -1982م .

24- تفسير الوجيز للو احدي (ت468هـ)،تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، الطبعة الأولى دار القلم ، الدار الشامية ، 1415هـ.

25- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ)،تحقيق : عبد السلام محمد هارون ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ،القاهرة ، 1384هـ - 1964م .

26- جامع البيان عن تأويل آي القرآن الكريم المعروف بتفسير الطبري(ت310هـ)،تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ضبط وتعليق : محمود شاكر الحرستاني ،تصحيح علي عاشور ،الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان.

27- جحا العربي، الدكتور محمد رجب النجار ، الطبعة الثانية ، دار السلاسل للطباعة والتوزيع 1989م .

28- الحواميم السبع /دراسة تحليلية فنية ،الدكتور طالب عويد الشمري ،ديوان الوقف الشيعي ، سلسلة الاصدارات العلمية ،بغداد 1429هـ - 2008م .

29- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تحقيق : محمد علي النجار ،دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان .

30- دلائل الإعجاز ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)،وقف على تصحيحه وطبعه وعلّق حواشيه : محمد رشيد رضا ، الطبعة السادسة ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ميدان الأزهر 1380هـ - 1960م .

31- الرسالة التامة في فروق اللغة العامة ،تأليف الشيخ محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرباسي ، وزارة الثقافة والإعلام ، دائرة الإعلام – بغداد .

32- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين الآلوسي (ت1270هـ)،دار الفكر ، بيروت 1398هـ - 1978م .

33- زاد المسير لابن الجوزي(ت597هـ)، تحقيق :محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، تخريج الأحاديث : أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1407هـ - 1987م .

34- السخرية في أدب المازني،الدكتور حامد عبده الهوّال،الهيأة المصرية العامة للكتاب 1982م .

35- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ،لأحمد بن فارس(ت395هـ)، تحقيق : مصطفى السنوسي ،بيروت –لبنان 1964م .

36- الصحاح،تاج اللغة وصحاح العربية ،تأليف إسماعيل بن حامد الجوهري،تحقيق :أحمد عبد الغفار عطار،الطبعة الرابعة ،دار العلم للملايين،بيروت – لبنان ،1990م.

37- صفوة التفاسير ،محمد علي الصابوني ، الطبعة السادسة ، دار القرآن الكريم ، بيروت – لبنان 1405هـ .

38- فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، تأليف : نور الدين بن نعمة الله الحسين الموسوي الجزائري ، حققه وشرحه: الدكتور محمد رضوان الدّاية ، الطبعة الاولى، مكتبة الرشد، ناشرون ، 1424هـ -2003م .

39-القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، الدكتور محمود البستاني ، الطبعة الأولى، مجمع البحوث الإسلامية ،مشهد ، 1414هـ .

40- الكتاب ،لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت180هـ)،تحقيق :وشرح : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1425هـ -2004م.

41- كتاب التوحيد ، الشيخ أبو جعفر محمد بن بابويه القمي ، المعروف بالشيخ الصدوق (ت381هـ)،دار المكشوف ، بيروت 1387هـ .

42- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)،تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد ، مطبعة العاني ، 1982م .

43- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،جار الله محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري (ت538هـ) دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

44- لسان العرب ، ابن منظور محمد بن مكرم علي أبو الفضل جمال الدين (ت 711هـ)،المؤسسة المصرية للتأليف والإحياء والنشر ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ، طبعة مصورة على طبعة بولاق .

45- الكليات ،معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني الكفوي (1094هـ)،أعدَّه للطبع ووضع فهارسه :الدكتور عدنان درويش محمد المصري ،دار الكتب الثقافية ،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد التونسي ، دمشق 1976م .

46- كنز الدقائق وبحر الغرائب ،الشيخ محمد بن محمد رضا القمر ألمشهدي (ت1125هـ)،تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـــقم المقدسة 1407هـ .

47- مجمع البحرين ومطلع النيرين ، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت1085هـ)، تحقيق : أحمد العيني ، الطبعة الثانية ،مكتبة نشر الثقافة الإسلامية 1408هـ .

48- مجمع البيان لعلوم القرآن،أبوعلي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت548هـ)،مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع ، طهران –إيران ، 1390هـ - 1970م .

49- معاني الأبنية في العربية ، فاضل صالح السامرائي ، الطبعة الأولى ، ساعدت جامعة بغداد على نشره 1981م 0

50- معاني القرآن ، لعلي بن حمزة الكسائي (189هـ)، أعاد بناءه وقدَّمه الدكتور عيسى شحاتة عيسى ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع 1998م .

51- معاني القرآن ،تأليف : أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ)،تحقيق : أحمد يوسف نجاتي - محمد علي النجار ،الطبعة الثانية ، الهيأة المصرية العامة للكتاب 1980م .

52- معجم المصطلحات الأدبية ، إعداد إبراهيم فتحي ، الموسوعة العربية للناشرين المتحدين ، صفاقس – تونـــس .

53- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، عرض وتقديم وترجمة الدكتور سعيد علوش ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1415هـ - 1985م .

54- معجم مفردات ألفاظ غريب القرآن ، للعلامة الراغب الأصفهاني (ت502هـ)، تحقيق : نديم مرعشلي ، مطبعة التقدم العربي، توزيع دار الفكر 1392هـ -1972م.

55- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)طبعة جديدة ومصححة وملونة ،دار إحياء التراث العربي ، اعتنى به : الدكتور محمد عوض مرعي ،الآنسة فاطمة محمد أصلان ،الطبعة الأولى، بيروت 1422هـ - 2001م .

56- المزهر في علوم اللغة ،جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرين ،ألبابي الحلبي ، القاهرة .

57- المعجم الأدبي،جبور عبد النور، الطبعة الأولى دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان 1979م .

58- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت546هـ)، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، لبنان 1413هـ -1993م .

59- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، علي بن إسماعيل بن سيده(ت458هـ)، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الأولى ،معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، 1377هـ 1958م .

60- مختار الصحاح، تأليف : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت666هـ)، دار الرسالة ، الكويت .

61- مفردات ألفاظ القرآن ، العلامة الراغب الأصفهاني ،تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، د . ت

62- المقرب، ابن عصفور الأشبيلي (ت669هـ)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي .

63 - الممتع في التصريف ،ابن عصفور الأشبيلي (ت669هـ)، تحقيق : فخر الدين قباوة ، الطبعة الثانية ، دار القلم العربي ، دمشق – حلب 1973م .

64- الميزان في تفسير القرآن ،للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان ، 1394هـ - 1974م .

65- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ألبقاعي (ت885هـ)،مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الطبعة الأولى ، الهند ، 1398هـ -1978م .

66- نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ، فخر الدين الرازي(ت606هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، محمد بركات حمدي بوعلي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، 1985م .